الفصل الثامن

وظائف المدن ومستوى فاعلية خدماتها

آ ـ مدن متعددة الوظائف ومدن ذات وظيفة متميزة ورئيسة

ب ـ اهمية وظائف المدن مرتبطة بمدى فاعلية قطاعاتها الخدمية وحسن تأدية تجهيزاتها الحضرية المختلفة .

Scanned with CamScanner

آ ـ مدن متعددة الوظائف ومدن ذات وظائف متميزة ورئيسة

لابد في البداية من التنويه من أنه لا يوجد وظيفة صافية أو لا يوجد مدينة تختص في وظيفة واحدة فقط ، بالمقابل يمكن القول إن لبعض المدن وظائف رئيسة متميزة عن غيرها من الوظائف الأخرى التي تقوم بها المدينة عادة .

إذن إنه في كل مدينة تتوافر العديد من العوامل والمقومات والقطاعات الخدمية وكل منها على درجة من الأهمية ، ومن بين مجموع تلك المهام المدنية يبرز قطاع وحيد على درجة من الأهمية يطغي طابعه على المدينة أو يعطيها خصائصه وبالتالي يسمح للمدينة من أن تصبح مجالاً حيوياً لتأدية هذا النوع من الخدمات والذي مع الزمن يطغى على غيره من أنواع الخدمات الأخرى ويصبح للمدينة دور متميز تؤدي من خلاله ناتج استثمار هذا القطاع والذي تشتهر المدينة باسمه والذي بدوره يعكس دوره على المدينة وحيث يصبح مع المستقبل المجال الرئيس للحياة المعاشية لسكان تلك المدينة .

من خلال ما تقدم يتضح أن لكل مدينة دوراً رئيساً تؤديه أمام سكانها بل أمام السكان التابعين لاقليمها أو حتى سكان البلد أو القطر عامة أو أكبر من ذلك ، ويكبر ذلك الدور كلما كان له أهمية حساسة في حياة السكان من جهة وكان مستوى خدماته يعمل بجدية وتكامل من جهة ثانية .

إن لكل المدن وظيفة قبل كل هذه الوظائف الأخرى ، هي الوظيفة السكنية . أي أن المدينة في البداية هي المكان الذي يأوي أو يستوعب السكان القاطنين بغض النظر عن الطريقة والأسلوب والمكان والمستوى الحياتي .

ما عدا ذلك او باستثناء تلك الوظيفة العامة المذكورة اعلاه والتي تشترك بها عموم المدن والمراكز البشرية على اختلاف حجومها ، فانه من المؤكد ان كل مدينة تشتهر

Scanned with CamScanner

بوظيفة ما تؤديها بفاعلية اكثر مقارنة مع الادوار الاخرى التي تؤديها ، والعديد من تلك الوظائف يمكن عدّها مصدر رزق اساسي لسكان المدينة .

قبل أن تتعدد وظائف المدن مع تطور الحياة وتقدم التقنية الحديثة ، فان المدينة لم تكـن أكثر من مساحات يشغلها أناس وعائلات مختلفة الأعداد تتوضع بالقرب من أماكن أنشطتهم المختلفة وبخاصة النشاط الزراعي ، ولكن مع تعدد مجالات العمل التي تطورت ونمت كثيراً مع بداية الثورة الصناعية ، تعددت وظائف المدن وأصبح لكل مدينة تقريباً مجال تبرز من خلاله وتتفنن في تقديم أشكال خدماته. مما قاد الى نوع من التخصص الذي أعطى لهذه المدينة شهرة تختلف عن تلك التي تؤدي مهام أخرى أو لها وظيفة مختلفة وفي مجال آخر . والأمثلة على ذلك كثيرة سواء أكانت على مستوى الاقليم أم القطر أم القارة . من تلك الأمثلة التي تميز المدن بطابعها ، تلك المدن التي تحتكر لنفسها دون غيرها نشاطاً ملموساً لا يتوفر بغيرها وتنفرد به بشكل نسبي الى جانب ما تبقى من الخدمات الأخرى التي تقوم بها عادة التجمعات البشرية .

الى جانب كل انواع الخدمات ذات المستوى المتباين التي تؤديها كل المدن عادة مثل الخدمات الأمنية والصحية والتعليمية والسكنية والتجارية والقضائية والثقافية وغيرها ، أي التعدد في الوظائف التي تقدمها المدينة بشكل عام ، يكون لبعض تلك المدن مجال طاغ ويصب فيه كل القدرات المدنية وتوظف به إمكانات أكبر من تلك الموجهة للقطاعات الأخرى وهذا ما ينعكس بالنتيجة على المرتبة التي تسمى بشهرته.

توجد في دول العـالم كافـة المدينة العاصمة التي تحوي كـل متطلبات المدينة وتتوضع بهـا القيادة السياسية العليـا ، والقيادات الأمنية العليـا ، وهي المكان الذي يخرج منه القرار الحاسم او هي المدينة التي يعيش بها القادة والمتخصصون والمستشارون واصحاب القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والقضائي والسلام والحـرب وغـيره وبهـا تتوضح سـدة الرئاسة وحيث من خلالها يتم استصدار القرار وتوجيه الوطن .

إذن في هذه الحالة نحن أمام المدينة العاصمة القطرية أو الوطنية والتي لاينحصر مجالها في تأدية نوع واحد من الخدمات ، بل هي المدينة التي تتعدد خدماتها وتتعدد وظائفها ذات السوية المرتفعة لتكون قادرة على تحقيق التوازن المطلوب بين الطلب

Scanned with CamScanner

والعرض ، بين الحاجة من جهة وازدياد متطلبات السكان وتنوع مطالبهم من جهة أخرى .

العاصمة الاقليمية

في هذا المجال ينسحب الوضع أيضاً على المدينة العاصمة الاقليمية وحيث تصبح بموجب التسميات الادارية بعض المدن عاصمة إقليمية تتوضع بها كل الانشطة التي لها علاقة أساسية بحياة المواطن اليومية .

في الأصل تتطابق تلك الأنشطة مع تلك التي تتوضع في العاصمة القطرية ، ولكن بمستوى أضعف وأكثر محدودية ويتطابق عادة مع حجم المدينة وعدد سكانها وسكان الاقليم الذي تقوده ، وكذلك لهذه المدن ادوار متباينة على رأسها يأتي الدور السياسي والأمني ويليه الدور الاداري لمختلف القطاعات ثم القطاعات الصحية والتعليمية والاجتماعية وغير ذلك .

بين هذين النموذجين الأساسيين المذكورين من وظائف المدن والذي ينطبق على غالبية دول العالم ، تظهر عادة المدن أو المراكز البشرية ذات الأنشطة المتميزة او المتخصصة في مجال ما يفوق مهامها ووظائفها الأخرى . فعلى سبيل المثال نقول ، مدناً عمالية ، مدناً طلابية ، مدناً جامعية ، مدن بحوث واستكشافات علمية ، مدناً طبية ، مدناً ترفيهية واستجمام في الشتاء والصيف ، مدناً رياضية ، مدناً دينية ، مدناً ذات طابع عسكري ، وغير ذلك كثير .

وفيما يخص المدن العمالية ، فالأمثلة على ذلك كثيرة جداً وأسباب قيامها مختلفة ومجالات عملها متباينة وتاريخ ظهورها يختلف من مكان لآخر . والمثال الأكثر حيوية على هذا النموذج من المدن هو مدينة الثورة أو مدينة الطبقة السورية التي تتوضع على ضفة نهر الفرات . والتي تعد المثال الأكاديمي النموذجي والمدرسي لظهور المدن ذات الوظيفة المتميزة حيث في أقل من عشر سنوات ظهرت مدينة الثورة (الطبقة) في قلب الصحراء السورية لتحوي عشرات الآلاف من العمال والفنيين والمهرة والاختصاصيين الذين ينفذون إقامة سد الفرات العظيم على نهر الفرات ، والأمر نفسه ينطبق على المدن الجامعية أو مدن الطلاب وحيث تظهر عادة تجمعات خاصة لطلاب الجامعات بالقرب من توضع الجامعات والكليات والمعاهد وحيث مع الزمن تصبح أحياء كاملة تضم الطلاب والخدمات الجامعية وأماكن الدراسة بالاضافة الى أنواع الخدمات الأخرى الموجهة لهذه الفئة من السكان .

Scanned with CamScanner

والبحوث العلمية
مدن الاستكشافات

من أجل الحفاظ على سرية البحوث العلمية من جهة وضرورة أن تكون بعيدة عن الأحياء السكنية وإشغالها لمساحات كبيرة من الأرض من جهة ثانية ظهرت مايعرف بمدن الاستكشافات والبحوث العلمية والتي عادة تشكل مدنا قائمة بذاتها تضم على أرضها جميع أنواع الخدمات المطلوبة للعاملين بها ولكنها تختص بنوع واحد فقط من النشاط العلمي الموجه الى مجال معين من المجالات العلمية المختلفة .

مدن صحية

والغاية نفسها تنطبق على المجمعات والأنشطة المتعلقة في مجال الصحة ، وحيث أن مجموع تلك المصحات أو المستشفيات والمخابر الواقعة ضمن مساحات محددة ومهيأة لخدمة الانسان الصحية أصبحت تشكل حاليا مدنا كاملة أطلق عليها المدن الطبية وتلك الحال تنطبق على مدينة الحسين الطبية في المملكة الأردنية الهاشمية .

مدن الراحة والاستجمام

وأمام تحسن الوضع الاجتماعي والمعاشي للانسان ، ظهرت للوجود العديد من أماكن استقبال المواطنين في الصيف والشتاء على السواء بعد أن استكملت كل متطلبات الإقامة وتوفير الراحة للانسان القادم إليها وتحقيق الغاية المطلوبة ولذلك ظهرت مدن الراحة والاستجمام على شواطىء البحار وقرب البحيرات وظهرت المنتجعات الصيفية في الغابات الطبيعية والجبال وضفاف الأنهار وقرب المياه المعدنية الحارة وأيضاً مدن المنتجعات الشتوية التي تقام عادة في المناطق الجبلية التى تغطى بالثلوج أكثر أيام فصل الشتاء وغير ذلك من مدن التسلية والترفيه (مونت كارلو) والمدن والمراكز الموجهة للهو وتسلية الأطفال . وعلى الشروط نفسها ولغايات وأهداف رياضية تقام المدن الرياضية ولأهداف عسكرية وبحوث موجهة لخدمة العمل العسكري تقام العديد من المراكز البشرية المختلفة ذات الطابع السري المجهول كتلك الى شيدها السوفييت في سيبيريا والتي شيدها الأمريكيون في صحراء نيفادا والجزر البحرية وأعالي المحيطات وغيرها . وهناك أيضاً ما يمكن أن نسميه المدن الدينية حيث تطغى الوظيفة الدينية على سواها من الوظائف الأخرى للمدينة ، وخير مثال على ذلك مدينة مكة المكرمة مدينة الحجيج الاسلامي في المملكة العربية السعودية . ومدينة الفاتيكان حاضرة الطائفة المسيحية في مدينة روما في ايطاليا ، ومدينة الحج المسيحي « لورد » في فرنسا وغير ذلك .

Scanned with CamScanner

ب ـ اهمية وظائف المدن ، مرتبطة بمدى فاعلية قطاعاتها الخدمية وحسن تادية تجهيزاتها الحضرية المختلفة

كما لا يمكن أن تكون مدينة بدون قطاعات خدمية مختلفة ، فان تلك المدن تكون ذات دور متراجع ووظيفة ناقصة إذا لم تكن تلك الخدمات في حالة حسنة ومتوافقة في الكم والكيف مع أعداد سكانها من جهة ومتطلباتهم المختلفة من جهة ثانية .

إن تطور أية مدينة وسرعة تحضرها ، لابد أن يكون مرتبطاً قطعاً بتطور الخدمات التحتية الأساسية والخدمات الحضرية المرافقة للنمو العمراني والخدمات الترفيهية وتغذية المدينة بحاجاتها وغير ذلك .

لذلك نقول إن كل المدن المقدر لها أن تنمو وتتطور عمرانياً وتنمو بشرياً لابد أن يكون لها من الخدمات المختلفة ما يسمح لها بذلك التطور .

إن دراسة تخطيط المدن تعلق أهمية كبرى على الاهتمام بالقطاعات الخدمية المختلفة ، لأنه في حال التطور العمراني المستقبلي المدفوع بنمو بشري يجب أن يترافق مع تطور ونمو القطاعات الخدماتية المختلفة . وإلا ستكون النتائج عكسية وستظهر معالم التقصير أمام المواطنين الذين يعدونها فرصة لتجاوز القانون والضوابط العمرانية والاجتماعية وأعراف المدن وتقاليد حياتها . وهذا فعلاً ما ظهر في العديد من البلدان العربية وقاد مؤخراً الى ظهور الأحياء السكنية المخالفة والتي تشغل مساحات زراعية هامة على أطراف المدن الكبرى ومداخلها .

إن كل المدن ودون استثناء بحاجة في البداية الى خدمات تحتية عصرية قادرة على أن تستوعب حاجة سكانها . وكل المدن بحاجة الى ماء الشرب وماء الاستخدام

Scanned with CamScanner

المنزلي وبحاجة الى الكهرباء سواء أكان للإنارة أم للاستخدامات المنزلية والصناعية والتجارية المختلفة وبحاجة أيضاً الى شبكات طرق ووسائل مواصلات مختلفة متوافقة مع تصنيف المدينة وترتيبها من بين مجموع المدن الاقليمية أو القطرية أو العالمية من جهة ومتفقة مع أعداد سكانها والقادمين إليها من الخارج من جهة ثانية .

وإن الإستخدام العصري وإدخال التقنية الحديثة مع توفير الكميات التي يحتاجها الانسان فعلاً من الماء ، للشرب والاستخدامات المختلفة ، وتوفير الطاقة التي يحتاجها من التيار الكهربائي وخلق شبكات طرقات حديثة مع وسائل مواصلات عصرية وتصريف فضلات تلك المدن بشبكة صرف صحي منظمة محكم السد تخدم كل الأحياء دون استثناء يسمح كل ذلك لتلك المدينة أن تؤدي وظيفتها بشكل حسن وتقوم بواجبها أمام مواطنيها بشكل يتفق مع الحاجة العقلية . وما ينطبق على الخدمات التحتية أيضاً ينطبق على ضرورة توفر المرافق العامة والخدمات الحضرية الأخرى من خدمات تعليمية وصحية وثقافية وأمنية ومختلف أنواع المهن والحرف والخدمات الموجهة للانسان بالاضافة الى الخدمات المرافقة للنمو العمراني مثل الفنادق والمقاهي والمطاعم والبنوك ونقاط تبديل العملة والمسارح والسينما ، والحدائق العامة والملاعب الرياضية وأماكن اللهو للكبار والصغار وغير ذلك من تلك التي يجب توفيرها بما يتلاءم مع الحاجة الفعلية للسكان تدل على حسن سير عمل المدينة وتحسن عملها وقيام كل من تلك الخدمات كل بوظيفته حسب المطلوب منه يقود الى القول إن حسن سير عمل المدينة ومستوى خدماتها مرتبط بحسن عمل قطاعاتها الخدمية المختلفة واستمرارها ونموها بشكل يترافق مع التطور في عمرانها والنمو في عدد سكانها وحاجة القادمين إليها من الخارج .

* * *

Scanned with CamScanner

الفصل التاسع

دراسة مورفولوجية المدن
واشغال الأرض

من الدراسات الهامة في مراحل دراسة تخطيط المدن ، دراسة مورفولوجية المدينة أو إشغال الأرض المبنية ضمن مساحة المدينة المعمرة وهذا ما يمكن أن نسميه أيضاً دراسة الشكل الخارجي للمساحات المبنية وكيفية الإشغال .

الغاية من دراسة مورفولوجية المدينة هي إظهار الشكل البنائي لمجموع الأبنية المشكلة لأحياء المدينة والمساحات التي تشغلها ، وإظهار الفراغات المتوضعة على مساحة المدينة والتي تتمثل عادة في الشوارع والطرقات والساحات والحدائق العامة ومساحات الاحتياط والإرصفة والمزارع وغير ذلك .

ندرس أيضاً في دراسة مورفولوجية المدينة أحجام البناء وعدد الطوابق والمواد الأولية المستخدمة وهندسة البناء وحتى يمكن دراسة كيفية استخدام الألوان لطلاء المنازل أو المادة الملونة لشكل البناء الخارجي إذا كان موجوداً . والمواد المستخدمة في السقوف عندما يكون للمنازل أسقف اسمنتية أو خشبية مائلة ومستخدمة القرميد الملون .

ماذا يقصد بدراسة مورفولوجية المدينة ؟

من مجموع ما تقدم نقول إن دراسة مورفولوجية المدينة يعني إظهار تمدد المساحات المبنية لرقعة المدينة مع التركيز على إبراز آلية ذلك التمدد وطبيعة المواد الأولية وأشكالها وأحجامها وطرق البناء ونماذج المنازل وتوضع البناء والكثافة البنائية ودرجة التزاحم مع إبراز المساحات الفارغة في عموم مساحة المدينة .

Scanned with CamScanner

ويمكن من أجل تطبيق هذا النوع من الدراسة الاعتماد على العمل الميداني الذي يقوده الباحث بنفسه ويمكن استخدام المخططات التنظيمية من أجل إظهار كيفية الاشغال فقط ، أي أن ذلك يقتصر على تعيين المناطق السكنية والأحياء التجارية وتوضع الخدمات الأخرى وفي بعض الأحياء يمكن إظهار عدد أدوار البناء كما هو وارد أصلاً في المخطط التنظيمي . ولكن لا يمكن في هذه الحالة إظهار آلية الحركة البنائية وتقنيتها .

وبعد التطور الذي طرأ على تقنية استخدام الخرائط الجوية أصبح بالإمكان الاستعانة بشكل كبير بالصور **الجوية الموجهة لتصوير** المدن وبعد أن ينفذ عليها **إسقاطات نظرية مكتبية متطابقة مع المخططات التنظيمية** من ناحية **أو حقيقة ما يقام على الأرض** وبخاصة إذا كان ذلك مخالفا للمخططات التنظيمية الموضوعة من قبل السلطات المختصة .

هذه المجالات الثلاثة تعد نقطة انطلاق الباحث وتوفرها يعد ضرورة لأية دراسة مورفولوجية ومن خلالها يتم معرفة حقيقة التركيب الخارجي للكتل البنائية وحقيقة إشغال الأرض أو المساحة المبنية فعلاً ضمن المخطط التنظيمي.

ما هي أهمية الدراسات المورفولوجية

١ إن تلك الدراسات أصبحت الآن على درجة من الأهمية ومن خلالها يتم التعرف على خصوصية هذه المدينة مقارنة مع غيرها وإظهار النقاط المميزة لكل مدينة انطلاقاً من خصوصية آلية حركة بنائها وكيفية إشغال أرضها وتوجهها وألوانها وغير ذلك .

٢ من خلال الدراسة يمكننا أن نقول إن تلك المدينة تتميز بتمددها الأفقي ويغلب عليها طابع النمو الخطي . وذلك يكون بعد التعرف على حركة بناء تلك المدينة وإحصاء عدد الأبنية المكونة من دور واحد ومن دورين وثلاث أدوار ثم أربعة وأكثر . وحين تكون النسبة الغالبة للمنازل والأبنية مكونة في حدها الأقصى من دورين مع سيادة نموذج المنازل المكونة من دور واحد ، وعلى العكس نقول إن تلك المدينة لها طابع المدينة الأمريكية ، أي أن النسبة الغالبة في منازلها وأبنيتها تعتمد على تعدد الطوابق والتي ترتفع الى ارتفاعات عالية ابتداء من أربعة أدوار وما فوق .

Scanned with CamScanner

٣ تسمح أيضاً دراسة مورفولوجية للباحث بابراز الفرق بين الأحياء السكنية والتي من خلالها يمكن التعرف على الوضع الاجتماعي والاقتصادي لسكان الأحياء.

٤ إن توضع أحياء كاملة من المنازل المستقلة أو الدور المفخمة والفيلات ذات المساحات الكبيرة نسبياً يقود الى القول بشكل عفوي إن السكان القاطنين في هذه الأحياء من المؤكد ان وضعهم المادي أفضل بكثير من أولئك الذين يسكنون في المساكن الطابقية وذات السكن الجماعي والجمعيات السكنية وغير ذلك من الأبنية التي تكون عادة ضمن مساحات صغيرة ولا تتوافق أبداً مساحة المنازل مع عدد القاطنين في كل منزل وحيث تصبح حصة الفرد من المساحة المبنية أو القابلة للسكن أقل من الحاجة الطبيعية والمتعارف عليها .

٥ في حال وجود مقياس صحيح لمخططات تنظيم مدينة ما ، ومن خلال استخدام خرائط التصوير الجوي أو المخططات التنظيمية أو وثائق البحث الميداني . يمكننا إظهار كل المساحات الموجهة لتكون شوارع وساحات عامة ، وحدائق ومنتزهات ومساحات احتياط ومعرفة النسبة التي تشغلها من مجموع المساحة العامة لرقعة المدينة ويمكننا أيضاً معرفة قدرة تلك الشوارع على استيعاب حركة مرور السيارات والمشاة وذلك من خلال مقاييس تلك الشوارع والتي تزداد قدرتها مع زيادة اتساعها وتقنيتها .

٦ توضع في أغلب دول أوروبا الغربية ، المخططات التنظيمية في وقت سابق للحركة العمرانية ، والحركة العمرانية لابد أن تلتزم بحرفية تلك المخططات . ولذلك فان دراسة المدن في تلك الدول تصبح سهلة ، ويمكن للصور الجوية الملونة أن تهي بالغرض بعد إجراء تطابق دقيق مع المخططات التنظيمية التي تستخدم الألوان في توضع الحركة العمرانية المختلفة ، وحتى يمكن للباحث من التعرف على الأحياء السكنية من ألوان أسطحة المنازل وحيث يفرض على كل حي أن يستخدم لوناً معيناً من ألوان القرميد وضمن دائرة معينة من كل مساحة من مساحة المدينة .

٧ إن دراسة مورفولوجية المدينة وإظهار الوضع الحقيقي لإشغال الأرض ، هي

Scanned with CamScanner

وثيقة هامة تستفيد منها جهات مختلفة محلية وأجنبية في حال التعرف على حقيقة الحركة العمرانية من كل جوانبها وبخاصة تلك الجهات التي لا يتوفر لها الوقت الكامل لإجراء دراسات ميدانية في غياب المعطيات المكتبية والمعطيات والمصادر الرسمية الأخرى ، والتي تعرف بالمدينة عادة ، ومنها تلك الخرائط التي توضع في خدمة السائحين والجهات الأمنية والعسكرية والادارية المختصة .

٨ إن الدراسة الصحيحة والدقيقة تعد صورة فوتوغرافية حية تحوي الأنشطة السكانية المختلفة المتوضعة في المدينة ، مع إمكان بروز المساحات المشغولة بالحركة البنائية الموجهة للسكن والموجهة للتجارة والصناعة وقطاعات الخدمات المختلفة والشوارع والساحات بالاضافة الى آلية الحركة العمرانية وتدرج البناء ونماذج المنازل وحتى موادها الأولية المستخدمة .

* * *

Scanned with CamScanner